الذَبُّ عن عِرض رسول الله ﷺ

وكلُّ مصيبة بعدك يا رسول الله جلل (*)

د.م حبيب بن مصطفى زين العابدين

هل هو في حقّ القادر فرض أو واجب أو مستحب ؟ في اعتقادي أنه فرض على القادر وإذا لم يقم القادرون بهذا الفرض أثمت الأمة بكاملها .. ولقد تجرأ الغرب على القرآن العظيم و لم يجدوا من المسلمين من يَذُبّ عن أعظم ما نزل على البشرية من كتب ربّ العالمين ، وكان الردّ ضعيفاً وهزيلاً لا يرقى إلى حجم الإهانة التي أهين بها كتاب ربّ العالمين الذي يعتبره المسلمون أعظم نعم الله عليهم .. إذ يربطهم بخالقهم وبارئهم الذي صاغ لهم حياتهم الدنيوية والأخروية فيه على النحو الذي يرضى به عنهم .

واليوم يتجرأ الغرب في الدانمارك وجارتها ليتطاولوا على رسول الله ﷺ بعد سكوت المسلمين على إهانة القرآن العظيم وما عساهم فاعلين بعد سكوتنا على إهانة رسولنا الحبيب محمد ﷺ .

لقد شهد أعداء الرسول ﷺ في عهده على صدقه وأمانته وهاجر من مكة المكرمة حين هاجر وأمانات غير المسلمين في حوزته تركها عند ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليردها إلى أصحابها .. لقد وُصف ﷺ عند حضرة النجاشي ملكِ الحبشة من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما حاولت قريش استعادة من هاجر إليها من الصحابة بقوله : « أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل

(*) من الكلمات المتضادة (معناها كل مصيبة بعدك يا رسول الله تهون)

الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، يأكـل القـوي منـا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا ، نعرف نسبه وصـدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات .. » سيرة ابن هشام . هذا هو الرسول الـذي يصوره صحفيو الدانمارك وأعوانهم بأبشع صورة وأسوأ حال .. ولقد كـان أبـو سفيان وغيره من المشركين قبل إسلامهم لا يتهمونه في شيء من أمانته وإخلاصه وصدقه بل كانوا عدلاء لا يبعد وصفهم له عن الوصف السابق له وأعظم شـيء كانوا يعيبونه عليه هو دعوته لهم بتوحيد الله ونبذ الأصنام وإخراجهم من عبـادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار .

وعلى مرّ التاريخ وفي كتابات المستشرقين وفي كتابات النصارى العـرب في العهود الحديثة لم نعهد قط أن أحداً سقط هذا السقوط الذي تناول به الصحفيون الدانماركيون ومن على شاكلتهم سيرة المصطفى ﷺ وتشويه صورته على هـذا النحو بل المشهود أن بعض هؤلاء كانوا يثنون على النبي محمد ﷺ ويعتبرونه عبقري العرب وأشد ما كان يؤخذ عليهم تشكيكهم في نبوته أو التقليل من شأنه عـداك عمن أعطى المصطفى ﷺ حقه وأنصفوه من الأوروبيين والنصارى واليهود الذين أسلموا في العهود القريبة أمثال محمد أسد ، وروجيه جارودي وغيرهما .

لقد عده مايكل هارت أعظم العظماء في كتابه : « العظماء مائة .. أعظمهم محمد ﷺ » ، **ويقول برناردشو في كتابه محمد منقذ الإنسانية** : « أن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد الذي وضع دينه موضع الاحترام » ويضيف قائلاً : « ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول : إن بوادر العصر الإسلامي الأوربي قريبة لا محالة ، وإني أعتقد أن رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعـه اليوم ، لتمّ له النجاح في حكمه ، ولقاد العالم إلى الخير ، وحلّ مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام .. » ، ويقول العالم الفرنسي لو مارتين في كتابه (تـاريخ تركيا) بعد أن ذكر الكثير من صفاته ﷺ (.. هذا هو محمد ﷺ ، بـالنظر لكـل

مقاييس العظمة ، أود أن أتساءل : هل هناك من هو أعظم من النبي محمد ﷺ ؟) .

ويقول السيد موير العالم الإنكليزي في كتابه (تاريخ محمد) : « إن محمداً أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ، ولا يعرفه من جهله ، وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد ، ذلك التاريخ الذي ترك محمداً في طليعة الرسل ومفكري العالم » هذا غيض من فيض مما كتب ويكتب في التاريخ في الثناء على محمد ﷺ من غير المسلمين .

ولقد توعد الله الذين يؤذون الله ورسوله بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٧] ، وسيطال وعيد الله من آذى محمداً وسينال عذاب الدنيا قبل الآخرة .. ولكن واجب المسلمين الذين رَخُص عليهم رسولهم وقرآنهم ودينهم وإخوانهم المسلمين والمسلمات هم الذين يُخشى عليهم من التقصير في حق الله ورسوله وحق الإسلام والمسلمين .

لا يشك أحد في أنه على مستوى الأفراد والمجتمعات والملوك والرؤساء لو أن أحداً أهين في نفسه أو والده أو زوجه أو ابنه لثار ثورة عظيمة ولحاول أن يثأر ولغلي كالبركان . أما أن يهان القرآن ويهان رسول الإسلام فإن الغضب باهت والثورة باردة والعتاب على استحياء .. أين محبة الله ورسوله ؟! وأين محبة القرآن ؟ إن هانت علينا فستهون علينا أنفسنا وأهلونا وأوطاننا وأموالنا شئنا أم أبينا !! . أما إن عزَّ علينا الله ورسوله والقرآن والإسلام والمسلمون فسيعز الله كل من ذبّ عن عرض رسوله وعن عرض القرآن والإسلام والمسلمين في أهله ونفسه وماله ووطنه .

إن الواجب أمام الله لا أمام أحد سواه يستلزم أن يكون التفاعل على مستوى الحدث وأن نثأر لرسول الله ﷺ كل على قدر استطاعته[1] .. أما أن يتغنى المسلمون بمحبة الله ورسوله دون أن يبرهنوا على هذه المحبة كما كان يفعل صحابة الرسول

(١) وذلك ضمن حدود القانون والأعراف وتقدير المنفعة الآنية والمستقبلية للإسلام ، وبما يكفل للمسلمين التعاطف مع قضيتهم . كل ذلك دون أن يحرفنا الأمر عن العمل الدؤوب المستمر لتعريف الناس عامة والغربيين خاصة بصفات الرسول الكريم وتاريخه العظيم . — الدار الإسلامية للإعلام –

محمد ﷺ حين فضلوه على أهلهم وأنفسهم وفدوه بالغالي قبل الرخيص .. عندما أراد المشركون قتل خباب بن الأرت سألوه : « هل تتمنى أن يكون محمد ﷺ مكانك ؟ قال : لا ، والله ما أتمنى أن يشاك محمد بشوكة وهو في مكانه .. !! » . ولا يسع المجال لتعداد الأمثلة العظيمة لمحبة الصحابة لرسولهم كتلك المرأة التي فقدت والدها وأخاها وزوجها في غزوة من الغزوات وكان همها الأول أن تطمئن على رسول الله ﷺ وأن تراه بعينها سليماً معافاً فقرّت عيناها بذلك واطمأنت وهان عليها مصابها الجلل بفقد أعزّ الناس عليها وقالت كلمتها الشهيرة الخالدة لرسول الله ﷺ (وكل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل) .

حفنة من الصهاينة استطاعوا أن يدرجوا الاعتداء على الساميّة ضمن الجرائم المستحقة للمقاضاة عليها عالمياً ودولياً .. واستصدروا بذلك قرارات عالمية وحاكموا كثيرين على أساسها .. !! ما لم يطالب المسلمون حكاماً وتجاراً وأصحاب نفوذ وجاه ومن معهم من المسلمين وهم أكثر من مليار مسلم بأن تصدر الأمم المتحدة قانونية دولياً يعتبر الإساءة إلى الأنبياء والرسل والقرآن العظيم جريمة يعاقب عليها ويلاحق عليها قضائياً في أي مكان في العالم .. فالاستهزاء سيستشري والاستهانة ستزداد والمهانة ستطال الجميع ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

إن القادر من على أن يذبّ عن عرض رسول الله ﷺ بكلمة ، بمقال ، بتنديد ، بشجب ، بمقاطعة .. يجب أن يبادر إلى ذلك بأقصى ما يستطيع وبأعلى درجة وتقاعسه عن ذلك دليل على قلة محبته لله ولرسوله وقلة إيمانه .. « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** » (رواه البخاري) صدق رسول الإسلام العظيم . أما غير القادرين فلا أقل من أن يضرعوا إلى الله يبكون وإليه يلجأون وهو المستعان وإليه المشتكى يسألونه أن يؤهل أمة نبيه محمد ﷺ لتكون منيعة ممتنعة من كل من تسول له نفسه أن يعتدي على رسولها أو على قرآنها أو على أراضيها أو على المستضعفين منها وأن تهاب الأمم المساس بمقدساتها أو النيل من أعراضها ، والله يستجيب ، والله قدير وبالإجابة جدير وما ذلك على ربنا بعزيز .